فى « عين شمس »

للأستاذ شكرى فيصل

— ١ —

لم أعرف « عين شمس » قبل هـذا اليوم ؛ ولم يقدر لى أن تصافح عيناى هذه الجنبات الفساح ، وتلك الأرض المنطلقة . وما أدرى أين كان منى هذا الهدوء السمح ، وهذه الطبيعة الضاحكة ، وذاك الجمال المنثور هنا وهناك ... لقد قنعت بنفسى فانطويت عليها ، وزهدت فى الناس فانصرفت عنهم ، وقضيت فى القاهرة سنوات فإذا أنا أعيش فى هيا كل الوحدة ، ومعابد العزلة ، وكهوف الانقطاع البعيد ... وإذا أنا أحيا بهذه الأجواء التى أنشرها ، وهذه الدُّنى التى أنثرها ، وتلك الرؤى التى أهيم بها ... وإذا أنا أنتزع قبس الحياة من أعماق ، وأمدّ زيته من دمى ، وأعيش فى عالى الرحب ، أطوّف فيه ، وأسكن إلى ظلاله الوارفات

— ٢ —

وفى القطار إلى « عين شمس » كانت تمر بى كل هذه الضواحى الفينانة ، القائمة على برزخ الحياة ، المستلقية على قدمى الصحراء ، السابحة فى بحر النور ... فأعجب كيف غبت عنها كل هذا الأمد الطويل ، وهذا المدى المتباعد . ولكنى أثيب إلى نفسى فأذكر أن لى قلباً وقفته على ملاعب الصبا ، ومسارح الطفولة ، وجنات الغوطة ؛ وأن فى أعماق خلجات استأثر بها الحنين ، واستبد بها الشوق ؛ وأن فى أضلى روحاً تخفق للأسرة الناعمة والبيت الندىّ والوطن البعيد

لشدّ ما ملكت علىّ نفسى هـذه الضاحية الضاحكة ... لقد أحسست فيها الحياة ، وشعرت معها بالانطلاق ، وامتدت بى آفاق النظر هنا وهناك ، لا تحدها عوائق ، ولا تقف من دونها حواجز ، ولا يمنع عنها النور جدران قائمة وأبنية متراصة

— ٣ —

إن الصحراء الناعمة على ذراع الأفق ، الممتدة على صفحة الدنيا ، لتبعث ألواناً من الأحاسيس ، وتثير أنغاماً من العواطف ، وتبث المعانى الرائعة من السلام والهدوء ... لا يملك معها الإنسان إلا أن يستجيب لها ، ويتحد معها ، ويفنى فيها

لقد وقفت فى ساعات الضحى أتأمل هذا الفضاء الواسع فاجتمع علىّ الألق والشعاع والنسيم ... كانت الأضواء الراقصة تداعب جفنىّ ، وتريدها على الإغماضة الخفيفة فى ظلال الرؤى والمباهج ... وكانت النسمات الرخية تعبث بشعورى فتمر عليها باليد الناعمة واللمسة الخفيفة ... وكان الألق الفضى ينسكب فوق كل شىء ، فإذا الدنيا تموج فى بريقه المتقد ، وتتلألأ فى سناه الوضاء

— ٤ —

لم يعد يشوقنى إلا أن أنظر إلى بعيد . أشهد الصحراء العارية على شاطئ الأفق . لقد تجردت من كل شىء : من البناء المرتفع والعشب النامى ، والشجر المخضل ... وأوغلت فى البعد ... وذهبت تغتسل فى خضم واسع من الزرقة الخفيفة :.. لقد غابت فيه فلم يعد يظهر منها إلا هذه الذيول التى ألقت بها على الشاطئ تتلقى الشعاعات المترهجة ، وتكتسى السراب الخادع ... ثم ظهرت من جديد ... فإذا الشمس تفيض عليها حلة من نورها الخاطف وألقها الوضاء ... وإذا هى تبدو صافية نقية ناعمة ، طهرتها السماء ، وكساها النور ، وفاض منها الجلال

يا لروعة الصحراء ! ... إن رمالها المتراصة لتنفى على مسمع الزمن أنشودة رائعة من أناشيد القوة والمجد ، وإنها لتوقع لحناً بارعاً من ألحان الكرامة والنبل ، وإنها لتكتب صفحات بارزات (فى كتاب) الصفاء والطهر ... فمتى نخلص إلى هذه الصحراء لننجو من غدر المدنية ؛ وأثقال الحضارة ، وأوضار المجتمع ... ؟ ومتى نعيش على هذه الرمال نستمع إلى حداتها ، ونصغى إلى غنائها ، وننعم بصفائها الطهور ؟ ؟

— ٥ —

أخذت أطوف مع الظهيرة فى أطراف الضاحية ... لا أخشى لفحات الشمس ، لأن النسائم اللطاف كانت تذهب بشدتها وتحيلها ضوءاً ناعماً ، ولوناً زاهياً ، ونوراً حلواً ... ومضيت فى جنباتها

المتباعدة ؛ ووقفت أمام هذه الدارات المنثورة على أكتاف الطرق أشهد بساطتها المحببة ... كان أروع ما فيها هذه الحدائق القانعة على كتف الصحراء ، وهذا الياسمين المنتثر على الرمال الصفراء ، وتلك الأزاهير الفواحة فى الأرض الجدباء . . . لقد ضمت عالمين متباعدين فألفت بينهما ، فإذا الخضرة الزاهية تتموج على حفاف الصحراء الصامتة ؛ وإذا الزهر الندى يقبل الرمل الحالم ، وإذا دنيا الحضارة والترف تتآخى مع دنيا الجلال والخشونة ، فى عالم رائع أخاذ

— ٦ —

كان كل شىء فى « عين شمس » يلمنى إلى سلسلة بعيدة من مفاتن الجمال ... لقد أحسست النشوة فى كل نظرة ، ووجدت الهدوء فى كل مشهد ، وأحببت الصحراء فوق ما كنت أحبها ، وفنيت فى أجوائها المتسمة ، وفى فضائها الرهيب . . . ولم أذق الخشوع مثل ما لقيته فى فناء مسجدها الجامع . . . لقد سليت على الرمل الممتد ... فإذا أنا أحلق فى عوالم مُثلى وسموات عليا ، وإذا أنا أنسى كل شىء وأغيب عن كل شىء ، وأن هدف كل ما حولى ، وإذا أنا أنشد الحقيقة الحقة ، والخير المحض ، والجمال المطلق . . . وأتلمس إلى ذلك الهداية والنور ، وأحس اليقين والاطمئنان ؛ وأجد من اللذاذات ما لم أجده من قبل فى مكان

— ٧ —

حين جلست فى المساء أنتظر أن ينشق هذا الهدوء الضافى عن القطار الصاخب ، كان كل ما حولى يرتل نغمة السكون على هدهدة الليل الهابط ... لقد انتشرت على صفحة السماء قطع متناثرة من الغيم الوردى الزاهى ، واستعارت الدنيا لحظات هذا اللون الجميل ، فصبغت به كل ما حولها ... ثم لم يلبث أن اضطرب واهتز كما يهتز الطير الذبيح ... لقد طمس عليه الليل ، فغابت آخر شعاعاته من الأفق حين كان عامل المحطة يبعث أول ألسنة النار الحمراء فى كومة من الخشب المشتعل

... لشد ما تمنيت أن أكون فى « عين شمس » هذا العامل السعيد ... !

« القاهرة » شكرى فيصل

من تسابيح القلوب

نشيد المغرب الباكى . . .

[إلى فاتنتى بسحرها الشق ... !]

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

إِذَا مَا اللَّيْلُ نَادَاكِ ... وَغَنَّى حَوْلَ دُنْيَاكِ
نَشِيدَ المَغْرِبِ البَاكِى ... فَهُبِّى وَانْشُرِى فَجْرَا
عَلَى أَحْلَامِهِ الحَيْرَى ... لَعَلَّ جِرَاحَهَا تَبْرَا . . .
وَكُونِى فِى الدُّجَى شِعْرَا
يَهُزُّ الغَيْبَ إِنْشَادَا ... وَيُسْعِدُ عُمْرِىَ الشَّاكِى
أَنَا اللَّيْلُ الَّذِى نَادَى ... وَمَا غَنَّيْتُ إِلَّاكِ ! !

* * *

وَإِنْ طَارَتْ لَكِ الرِّيحُ ... يُرَتِّلُ فَوْقَهَا رُوحُ
غَرِيبُ اللَّحْنِ مَجْرُوحُ ... رَآكِ فَقَالَ : لَبَّيْكِ
هَبِينِى سِحْرَ عَيْنَيْكِ ... لِأُلْقِىَ بَيْنَ كَفَّيْكِ
صَلَاةَ العِطْرِ لِلْأَبَدِ ...
فَزُفِّى الحُبَّ أَنْوَارَا ... وَأَنْغَامًا لِمُضْنَاكِ
أَنَا الرُّوحُ الَّذِى طَارَا ... لِيُبْعَثَ حِينَ يَلْقَاكِ
أَنَا اللَّيْلُ ، أَنَا الرِّيحُ !
أَنَا اللَّحْنُ ، أَنَا الرُّوحُ !
فَهَاتِى خَمْرَ نَجْوَاكِ

محمود حسن اسماعيل